﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩﴾ [القصص: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقة بين غطرسة فرعون وكفره، وبين استكباره وجنوده بغير الحقِّ

مناسبةُ قولِهِ تعالى عن فرعونَ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لقول اللّه قبلها حكايةً عنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾: أنَّهُ لمّا قالَ فرعونُ ما حُكيَ عنهُ في الآيةِ السّابقةِ، مُريدًا بهِ إيقافَ قومِهِ عن اتِّباعِ الحقِّ؛ أتبعَهُ سبحانَهُ الإشارةَ إلى أنَّهم فعلوا ما أرادَ فرعونُ[1]، فعاثوا في الأرض فسادًا، وظنّوا أنَّهم لا يرجعون إلى اللّه، حيثُ الحسابُ والعقاب، وسوء المآب.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: (كبر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ الصِّغرِ[2]، والكِبْرُ: إعجابُ الإنسانِ بنفسِهِ، وذلكَ أنْ يَرَى نفسَهُ أكبرَ مِنْ غيرِهِ[3]، وأعظمُ التَّكبُّرِ التَّكبُّرُ على اللّهِ بالامتناعِ مِنْ قَبولِ الحقِّ والإذعانِ لهُ بالعبادةِ، والتَّكبُّرُ يوصف به من يَظهر عليه فعلُه من النّاس، وقد ذمَّه القرآن، فقال تعالى: ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزّمر: 72]، والكِبْرياء: العظمة والتَّجبُّر والتَّرفُّع عَن الانقياد، وفي التَّنْزيل العَزيز: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: 78][4]، والاستكبارُ أنْ يُظهِرَ مِنْ نفسِهِ ما ليسَ لهُ، وهذا مذمومٌ، وعلى هذا ما وردَ في القرآنِ[5]، فمعنى ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ في الآيةِ: (وتعظَّمَ)[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 296.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كبر).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (كبر).
(4) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: (كبر).
(5) الرّاغب، المفردات: (كبر).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 289.

2) ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾: (جند) أصلٌ يدلُّ على التَّجمُّعِ والنُّصرةِ[1]، يقالُ: هم جُنْدُهُ، أي: أنصارُهُ[2]، ويقالُ: جنَّدَ الجُنودَ، أي: جمعَها، وتجنَّدَ فلانٌ؛ إذا اتَّخذَ جُنْدًا[3]، والجَنَدُ: الأرضُ الغليظةُ[4]، وكلُّ صنف من الخلق يقال لهم: جُند على حِدَة، ويُقال: هذا جندٌ قد أقبل، وهؤلاء جندٌ قد أقبلوا، يخرج على الواحد والجميع، وكذلك العسكر والجيش[5]، وقولُهُ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾، أي: هو وأتباعُهُ المجتمعون، المناصِرون له[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

طُغيانُ فرعونَ وجُنودِهِ في الأرض استخفافٌ بحساب الله يومَ العرض

لقد طغَى فرعونُ وجُنودُهُ في الأرضِ، واستكبروا في معاملتهمُ الخلق، وتجافيهم عن الحقِّ، وذلك بعدم تصديقِ موسى عليه السلام، ونُكرانِ رسالته، والصُّدود عمّا دعاهُم إليهِ مِنْ توحيدِ اللهِ تعالى، والتزامِ أحكامه وشرعه المُنزَّل، وعليه فقد أكثروا في الأرضِ الفسادَ، واعتقدوا أنَّهُ لا قيامةَ ولا حسابَ ولا مَعاد[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ عطفِ جملة ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾:

بيانُ أنَّ فرعونَ قد جمعَ بينَ التَّكذيبِ والاستكبارِ

الواوُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ للعطفِ، والجملةُ معطوفةٌ على جملةِ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾[8]، وفي هذا العطفِ تقبيحٌ لشأنِ فرعونَ، ببيانِ أنَّهُ قد جمعَ بينَ خصلتينِ قبيحتينِ، وهما التَّكذيبُ بالحقِّ، والاستكبارُ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جند).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (جند).
(3) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (جند).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (جند).
(5) الخليل بن أحمد، كتاب العين: (جند).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 124.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 582، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 238.
(8) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 7/ 330.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الاستفعال ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾:

بلوغُ فرعونَ وقومِهِ أقصى غاياتِ الكِبْرِ مبينٌ عن مدى طغيانهم

عُبِّرَ بصيغةِ (استفعلَ) في قولِ اللّه ﷻ عن فرعون: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لِما تدلُّ عليهِ هذهِ الصّيغةُ مِنَ المبالغةِ في كِبْرِهِ؛ لأنَّ الاستكبارَ أشدُّ مِنَ الكِبْرِ، أي: تكبَّرَ تكبُّرًا شديدًا؛ إذ طمعَ في الوصولِ إلى الرَّبِّ العظيمِ وصولَ الغالبِ أو القرينِ[1]، ولأنَّهُ لم يكنْ لهُ حُجَّةٌ يدفعُ بها ما جاءَ بهِ موسى عليه السلام[2]، ولأنَّهُ وقومَهُ رأوا كلَّ مَنْ سواهم حقيرًا بالإضافةِ إليهم، ولم يَرَوا العظَمةَ والكِبْرياءَ إلّا لأنفُسِهم، فنَظروا إلى غيرِهم نظَرَ الملوكِ إلى العبيدِ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾:

استكبارُ فرعونَ وجنودِهِ مُتيقَّنٌ لا شكَّ فيهِ

جيءَ بصيغةِ الماضي لفعلِ الاستكبارِ، في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ استكبارَ فرعونَ وجنودِهِ قد مضَى، وتحقَّقَ، وهو أمرٌ مُتيقَّنٌ، لا شكَّ في اتِّصافِهم بهِ.

دلالةُ إعرابِ الضَّمير ﴿هُوَ﴾:

فرعونُ هو المُتكبِّرُ، والنّاس على دينِ ملوكهم

﴿هُوَ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾ فاعلُ الاستكبارِ، أو توكيدٌ للفاعلِ؛ لأنَّ استتارَ الفاعلِ في الغائبِ جائزٌ[4]، وعلى هذا الوجهِ يكونُ في الكلامِ تأكيدٌ لكونِهِ هو المُتكبِّرَ، ومفادُ الآيةِ في ذكرِ الضَّميرِ الدّالِّ عليه: أنَّه استكبرَ "بدعوى الألوهيَّةِ لنفسه، ونفيِها عن اللّه تعالى، وقَصْدِ الاطِّلاعِ إلى اللّه سبحانه، وادِّعاءِ العلمِ الكليِّ لنفسه مع جهلِه بربِّه"[5].

بلاغةُ العطفِ في لفظ ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾:

استكبارُ الأتباعِ مُلحَقٌ باستكبارِ المتبوعِ

عُطِفَ الجنودُ على الضَّميرِ الرّاجعِ إلى فرعونَ، في قولِ اللّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 124.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 200.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 290.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 330.
(5) القاسميّ، محاسن التأويل: 7/ 523.

سبحانَهُ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لبيانِ أنَّ حالَ فرعونَ قد سرَى إلى جنودِهِ، فاستكبروا باستكبارِهِ، فاستكبارُهُ هو الأصلُ، واستكبارُ جنودِهِ تَبَعٌ لاستكبارِهِ؛ لأنَّهم يتبعونَهُ، ويتلقَّونَ ما يُمليهِ عليهِم مِنَ العقائدِ[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالجمعِ مضافًا ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الجمعِ المضافِ إلى ضميرِ فرعونَ، في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ داءَ التَّعاظُمِ والاستكبارِ قد أصابَهم جميعًا، ولم يَسْلَمْ منهُ أحدٌ منهُم، فقد استكبر جُنودُهُ في الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ، أي: بلْ بالفسادِ، ورَدِّ الحقِ، والصدِّ عن سبيلِ اللهِ، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾[2].

استكبارُ جميعِ جُنودِ فرعونَ دليلٌ على سَرَيان لوثةِ الكِبرِ فيهم

دلالةُ الحرفِ ﴿فِي﴾:

حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ الواردُ في قولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ للظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، فيفيدُ أنَّ مكانَ استكبارِ فرعونَ وجنودِهِ هو الأرضُ.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾:

يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بالأرضِ، في قولِ اللهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الأرضَ المعهودةَ، وهي أرضُ مِصْرَ[3]، ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بها الجنسَ، أي: في عالَمِ الأرضِ؛ لأنَّهم كانوا يومئذٍ أعظمَ أُمَمِ الأرضِ[4].

استكبارُهم في مِصْرَ أو في جنسِ الأرضِ على العموم

سرُّ تقييدِ الاستكبارِ بأنَّه ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

تقييدُ استكبارِ فرعونَ وجُنودِهِ، في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، بكونِهِ في الأرضِ - سواءٌ كانَتْ

استكبارُهم في أسفلِ الأجرامِ دليلُ حِطَّةِ ما لهم من مقام، وعظيمِ ما اقترفوه من إجرام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 124.
(2) القاسميّ، محاسن التأويل: 7/ 523.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 296، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 290، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 124.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 124.

أرضَ مِصْرَ أم جنسَ الأرضِ - تشنيعٌ عليهم، حيثُ استكبروا فيما هو أسفلُ الأجرامِ، وكانَ اللّائقُ بهم أنْ ينظروا إلى محلِّهم وتسفُّلِهِ، فلا يستكبروا[1]؛ لأنَّ مَنْ هو في الأرضِ المُحقَّرةِ الموطَّأةِ بالأقدامِ لا ينبغي له أنْ يستعليَ[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّقييدُ لإفادةِ شمولِ استكبارِهِ جميعَ الأرضِ الَّتي ملكَها[3].

سرُّ تقييدِ الاستكبار ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾:

منازعتُهم اللهَ في كبريائِهِ تطاولٌ وجرأة على جلاله

قُيِّدَ استكبارُ فرعونَ وجنودِه في قولِ اللّه سبحانَهُ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بكونِهِ بغيرِ الحقِّ؛ لأنَّ الاستكبارَ بالحقِّ إنَّما هو للّهِ تعالى وحدَهُ، وهو المُتكبِّرُ على الحقيقةِ، أي: المتبالغُ في كِبْرياءِ الشَّأن، وكلُّ مُستكبِرٍ سواهُ؛ فاستكبارُهُ بغيرِ الحقِّ[4].

دلالة باءِ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾:

استكبارُهم مُتلبِّسٌ بغيرِ الحقِّ، فهو استعلاءٌ باطل منبوذ

قولُ اللّه تعالى: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الآية: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ حالٌ، والباءُ للملابسةِ، أي: (استكبَروا مُتلبِّسينَ بغيرِ الحقِّ)[5]، وهو حالٌ لازمةٌ لعاملِها؛ لأنَّ الاستكبارَ منهُم لا يكونُ إلّا بغيرِ الحقِّ[6].

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلْحَقِّ﴾:

الاستكبارُ بالحقِّ كلِّهِ للهِ، وحدَهُ في علاه، دون سواه

تعريفُ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ باللّام في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يدلُّ على أنَّ التَّعظُّمَ بنوعٍ مِنَ الحقِّ ليسَ كِبْرًا، وإنْ كانَتْ صورتُهُ كذلكَ، وأمّا تكبُّرُهُ سبحانَهُ؛ فهو بالحقِّ كلِّهِ[7].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 290.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 269.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 524.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 415، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 600.
(5) السّمين، الدّر المصون: 8/ 679.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 124.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 296.

بلاغةُ العطفِ في جملة ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾:

المُستكبِرُ مُفرِطٌ في غَباوتِهِ وعِنادِهِ وسوء تقديره للأمور

قولُ اللّه جلَّ شأنُه: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، وهو مُتفرِّعٌ عنهُ، وعن الغَباوةِ أيضًا، لا عنهُ فقط، ولذا لم يُعطَفْ عليهِ بالفاءِ[1]، وفي هذا العطفِ إشعارٌ بأنَّهم قد جمعوا بينَ قُبْحِ الاستكبارِ وبيَن ظنِّ عدمِ الرُّجوعِ إلى اللّهِ، ولذلكَ أفرطوا في العُتوِّ والاستكبارِ.

مرجعُ ضميرِ ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾:

الـظَّـنُّ منـوط بـفـرعـونَ وجـنـودِهِ، وهو ظـنٌّ خـاطـئ لا يطابق الواقع

ضميرُ فاعل الظَّنِّ من قولِ اللّه جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ لفرعونَ وجنودِهِ[2]، فهُم أهلُ هذا الظَّنِّ الفاسدِ القبيحِ، وهذا الظَّنُّ بأنَّهم إلى حكمِنا لا يرجعون: بَنَوا عليه اعتقادَهم في أصل الدّين، الَّذي لا يكون إلّا بقاطع، فخابوا، وخسروا حالَهم ومآلَهم[3].

دلالةُ التَّوكيدِ بـ(أنَّ):

قـوَّةُ ظـنِّـهـم أنَّهم لا يُبعَثونَ أوردَتْهم الموارد

جيءَ بـ(أنَّ) للتَّوكيدِ في قولِ الحقِّ تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ على قوَّةِ ظنِّهم أنَّهم لا يُبعَثونَ، ولا يُنشَرونَ، فظنّوا أنَّهم لا يرجعون إلى حكم اللّه، نتيجةَ استكبارهم واستعلائهم بغير الحقِّ، وحُكمُ اللّه هو الَّذي يظهر عندَه انقطاعُ الأسباب[4]، وهو محقَّقٌ - لا محالة - فما أغنى عنهم ظنُّهم ولا استكبارُهم حينَ جاء أمرُ اللّه.

دلالةُ الحرف (إلى):

حرفُ الجرِّ (إلى) في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 297.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 297، والشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 200.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 297.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 297.

﴿يُرْجَعُونَ﴾؛ لانتهاءِ الغايةِ المكانيَّةِ، فيفيدُ أنَّ مرجعَ الخلقِ إلى اللهِ سبحانَهُ الَّذي لهُ الخلقُ والأمرُ.

سرُّ تقديمِ شِبهِ الجملة ﴿إِلَيْنَا﴾:

قُدِّمَ ﴿إِلَيْنَا﴾ على عاملِهِ ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ في قولِ اللهِ سبحانَهُ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾؛ للتَّعظيمِ والاعتناءِ بشأنِ الرُّجوعِ إلى اللهِ[1]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّقديمُ للتَّخصيصِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾:

أخذُهم بالعذابِ بغتةً ما كان إلّا بعدَ استمرارِ ظنِّهمُ القبيحِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ المنفيِّ في قولِ اللهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ في ظنِّهم استمرارَ عدمِ رجوعِهم إلى اللهِ؛ لأنَّ صيغةَ المضارعِ تفيدُ الاستمرارَ، فإذا دخلَ عليها النَّفيُ؛ أفادتِ استمرارَ الانتفاءِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى رُسوخِ هذا الظَّنِّ الباطلِ في نفوسِهم.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾:

اختلافُ القراءاتِ بالبناءِ للفاعلِ والمفعولِ مفيدٌ في بيانِ المطلوبِ

قرأ نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وخلفٌ: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ بفتحِ الياءِ وكسرِ الجيمِ، وقرأ الباقونَ ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ بضمِّ الياءِ وفتحِ الجيمِ[3]، أمّا على القراءةِ الأولى؛ فالفعلُ مِنْ (رَجَعَ) اللّازمِ، أي: رَجَعَ رُجوعًا، وهو مبنيٌّ للفاعلِ ﴿يَرْجِعُونَ﴾، وأمّا على الثّانيةِ؛ فالفعلُ مِنَ المُتعدّي، أي: رَجَعَه رَجْعًا، أو هو مِنَ الإفعالِ، أي: الإرجاعِ[4]، فهو مبنيٌّ لما لمْ يُسَمَّ فاعلُه ﴿يُرْجَعُونَ﴾، ويفيدُ أنَّ مُرجِعًا أرجعَهم، من (أَرْجَعَ) إذا فُعِلَ به الرجوع، فاللّه سبحانه هو وحده القادر على إرجاعهم.

(1) أطفيّش، تفسير أطفيّش: 7/ 386.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 297.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/209، والقاضي، البدور الزّاهرة، ص: 241.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 74.

بلاغةُ الإطنابِ في الجملة:

التَّعريضُ بالمشركينَ المُنكِرينَ للبعثِ والنُّشورِ

قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ معلومٌ بالفَحْوَى مِنْ كفرِهم باللّهِ، وإنَّما صُرِّحَ بهِ لأهمّيَّةِ إبطالِهِ، فلا يُكتفَى فيهِ بدلالةِ مفهومِ الفَحْوَى؛ ولأنَّ في التَّصريحِ بهِ تعريضًا بالمشركينَ في أنَّهم وإيّاهم سواءٌ، فَلْيَضَعوا أنفُسَهم في أيِّ مقامٍ مِنْ مقاماتِ أهلِ الكفرِ، ومعنى ذلكَ: (ظنّوا أنَّه لا بعثَ ولا رُجوعَ؛ لأنَّهم كفروا بالمرجوعِ إليهِ).

ويجوزُ أنْ يكونَ المعنى: وظنّوا أنَّهم في مَنَعَةٍ مِنْ أنْ يُرْجَعوا في قبضةِ قدرتِنا، وعلى هذا الاحتمالِ، فالتَّعريضُ بالمشركينَ باقٍ، فإنَّهم ظنّوا أنَّهم في مَنَعَةٍ مِنَ الاستئصالِ، فقالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٢﴾ [الأنفال: 32][1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاستكبارُ والاستنكافُ والتَّجبُّرُ:

مناسبةُ لفظِ الاستكبارِ لظنِّهم الزّائفِ أنَّه لا يُقدَرَ عليهِم

الفرقُ بينَ الاستكبارِ والاستنكافِ: أنَّ في الاستنكافِ معنى الأنَفةِ، وقد يكونُ الاستكبارُ طلبَ كِبَرِ النَّفسِ مِنْ غيرِ أنَفَةٍ[2]، والتَّجبُّرُ صفةٌ يوصَفُ بها مَنْ يَجْبُرُ نقيصتَهُ بادِّعاءِ منزلةٍ مِنَ التَّعالي لا يستحقُّها، وهذا في حقِّ الإنسانِ لا يقالُ إلّا على طريقِ الذَّمِّ، كقولِهِ ﷻ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥﴾ [إبراهيم: 15][3]، واستُعمِلَ الاستكبارُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ لأنَّهم لمّا ظنّوا ألّا يُقدَرَ عليهِم، وأنَّه لا رجعةَ لهُم إلى اللّهِ؛ دلَّ ذلكَ على شدَّةِ تعظيمِهم لأنفُسِهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 124.
(2) زيدان، الفروق اللّغوية، ص: 130.
(3) الرّاغب، المفردات: (جبر).

الجُنودُ والأتباعُ:

غِـلْـظَـةُ أتـبـاعِ فـــرعـــونَ وقَسْوتُهم

يقالُ للعسكرِ: الجندُ؛ اعتبارًا بالغِلْظةِ مِنَ الجَنَدِ، وهي الأرضُ الغليظةُ الَّتي فيها حجارةٌ[1]، وتَبِعَهُ، واتَّبعَهُ، فهو تابِع، أي: قَفا أثرَهُ، وذلكَ يكونُ تارةً بالجسم، وتارةً يكونُ بالائتمارِ، واختيرَ لفظُ الجنودِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ للإشارةِ إلى غِلْظتِهم وقسوتِهم، وفي التَّعبيرِ بهِ أيضًا تنبيهٌ على أنَّهم استكبروا اغترارًا باجتماعِهم وقوَّتِهم وشِدَّتِهم.

الظَّنُّ والحِسْبانُ:

إنـكـارُ فـرعـونَ وجُـنـودِهِ البعثَ مبنيٌّ على السَّفَهِ والجهلِ

فُرِّقَ بينَ الحِسْبانِ والظَّنِّ بأنَّ الحِسْبانَ: أنْ يَحكُمَ لأحدِ النَّقيضينِ مِنْ غيرِ أنْ يُخطِرَ الآخَرَ ببالِهِ، والظَّنَّ: أنْ يُخطِرَ النَّقيضينِ ببالِهِ، فيُغلِّبَ أحدَهما على الآخرِ[2]، وقد عُبِّرَ عن اعتقادِ فرعونَ وجنودِهِ بعدمِ البعثِ والنُّشورِ بالظَّنِّ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ تسفيهًا لهُم وتجهيلًا[3]، ببيانِ أنَّ غايةَ مُعتقَدِهم ظُنونٌ لا تستندُ إلى حقائقَ، ولم يُجروا النقيضَينِ بالبال قبل الحُكم بينَهما، وذلكَ فسادٌ عقلانيٌّ ومذمومٌ ومُعاقَبٌ عليهِ.

(1) الرّاغب، المفردات: (جند).
(2) الرّاغب، المفردات: (حسب).
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 524.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»